ثقافة التعايش السلمى فى الإسلام ودور المرأة فيها

الأستاذه الدكتوره

سعاد إبراهيم صالح

رئيس قسم الفقه بكلية الدراسات الإسلامية للبنات بالقاهرة

وعميدة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

بالمنصورة " سابقا "

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التعايش السلمى فى الإسلام

{ علاقة المسلمين بغير المسلمين }

تمهيد :

إن من أهم ما يميز شريعة الإسلام أنها جاءت خاتمة للرسالات التى سبقها ومن ثم كانت صالحة للتطبيق فى كل عصر من عهد رسول الله ﷺ إلي أن يرث الله الأرضى وما عليها ولقد جاءت هذه الشريعة السماوية بمبادئ وقواعد لتنظيم كافة أنواع السلوك الإنسانى ، سواء أكان ذلك من قبيل علاقات الأفراد بعضهم ببعض ، أو من علاقات الحاكم بالمحكوم ، أو من علاقات الدولة بالدول الأخرى سلما أو حربا و من علاقة الكل بالحق تبارك وتعالى .

وكان من المبادئ السامية التى أرستها هذه الشريعة الخاتمة مبدأ المساواة بين الناس جميعا ، فكانت نظرتها إلى الإنسان باعتباره بشرا فحسب لا يميزه عن سائر أفراد جنسه أو طبقته التى ينتمى إليها ما لديه من ثروة أو سلطة وإنما البشر يتفاضلون بشىء واحد هو تقوي الله ، فيقول الله عز وجل : ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ الحجرات آية ١٣ .

والله سبحانه وتعالي رفع شأن الإنسان .. فكرمه بقوله ﴿ **ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** ﴾ الإسراء آية ٧٠ .

وجاء في تفسير القرطبي بشأن هذه الآية : " كرمنا – تضعيف كرم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أى جعلنا لهم كرما ، أى شرفا وفضلا، وهذا هو كرم نعتى النقصان ، لا كرم المال وهذه الكرامة يدخل فيها خلقهم على هذه الهيئة في امتداد القامة وحسن الصورة، وحملهم فى البر والبحر مما لا يصح لحيوان سوي بني آدم أن يتحمل بإرادته وقصده وتدبيره . . والصحيح الذى يعول عليه أن التفضيل كان بالعقل الذى هو عمدة التكليف ، وبه يعرف الله ويفهم كلامه ، ويوصل إلى نعيمه وتصديق رسله " أ هـ تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن المجلد الخامس ص ٤٥٢٢ .

ويقول سبحانه :﴿ **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم** ﴾ (التين - ٤) ثم سخر له ما في السموات وما في الأرض . .

﴿ **ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض** ﴾ (لقمان - ٢٠)

وجعله خليفة فى الأرض :

﴿ **هو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات** ﴾ (الانعام - ١٦٥)

﴿ **هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره** ﴾ (فاطر /٣٩)

والخلافة وصف عام ، أو تكليف يشمل البشر كافة . . فالناس جميعا يرثون خصائص آدم - عليه السلام - ما كان منها روحيا ، وما كان غير روحى ، لا فرق فى ذلك بين شعب وشعب ،ولا بين جنس وجنس . .

وخلافة الإنسان شأن كل شيء ، وشأن كل تفويض أو تكليف . . لها وجهان :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الوجه الأول : هو العلاقة بين الإنسان وخالقه . . وهى علاقة عبودية لله والالتزام بمنهجه بقوله تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس الا ليعبدون** ﴾ الذريات(٥٦)

والوجه الثانى : هو العلاقة بين الإنسان وكل ما استخلفه الله عليه ، وهى علاقة سيادة علي الأرض وتعميرها بقوله تعالى :﴿ **هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها** ﴾ (هود ٦١) أي خلقكم لعمارتها . . ووسيلة الإنسان لتضيق العبودية هى الدين والإيمان ووسيلته فى تحقيق السيادة على الأرضى هي العلم والعمل . فالإيمان والعلم هما مقوما الخلافة وهما فى الإسلام متوافقان ومتكاملان وضروريان للتحقيق رسالة الإنسان . وليس بينهما - شأن المذاهب الوضعية - أي تعارضى أو انفصام . والإنسان حامل الأمانة : لقوله تعالى : ﴿ **إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا** ﴾ . (الأحزاب / ٧٢)

وجاء في تفسير القرطبى بشأن هذه الآية : " لما بين تعالى فى هذه السورة من الأحكام ما بين أمر بالتزام أوامره . والأمانة تعم جميع وظائف الدين علي الصحيح من الأقوال ، وهو قول الجمهور. روي الترمذى عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : "قال الله تعالى لآدم : يا آدم إنى عرضت الأمانة علي السموات والأرضى فلم تطقها فهل أنت حاملها بما فيها ؟ فقال : وما فيها يا رب ؟ قال : أن حملتها أجرت وإن ضيعتها عذبت ، فاحتملها بما فيها فلم يلبث فى الجنة إلا قدر ما بين صلاة الأولي إلى العصر حتى أخرجه الشيطان منها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فالأمانة هي الفرائض التى ائتمن الله عليها العباد " أ د تفسير القرطبى المجلد الخامس ص ٩٥٢٢ م

رفع شأن الإنسان لذاته لا لاعتقاده :

إن الآيات التي تمجد الإنسان وتعلي مرتبته فوق كل المخلوقات تتناول الإنسان لذاته لا لاعتقاده ، من حيث هو تكوين بشري ، وقبل أن يصبح مسلما ، أو نصرانيا ، أو يهوديا ، أو بوذيا ، وقبل أن يصبح أبيض أو أسود أو أصفر . . وفى هذا الصدد يقول الدكتور محمد عبد الله دراز : " كل إنسان له فى الإسلام قدسية الإنسان ، إنه فى حمى محمى ، وحرم مخرم ، ولا يزال كذلك حتى يهتك هو حرمة نفسه ، وينزع بيده هذا الستر المضروب عليه بارتكاب جريمة ترفع عنه جانبا من تلك الحصانة . وهو بعد ذلك بريء حتى تثبت جريمته . وهو بعد ثبوت جريمته لا يفقد حماية القانون كلها لأن جنايته ستقدر بقدرها ، ولأن عقوبته لن تجاوز حدها. فإن نزعت عنه الحجاب الذي مزقه هو ، فلن تنزع عنه الحجب الأخرى . بهذه الكرامة يحمي الإسلام أعداءه كما يحمى أبناءه وأولياءه . هذه الكرامة التى كرم الله بها الإنسانية في كل فرد من أفرادها هى الأساس الذي تقوم عليه العلاقات بين بنى آدم"

(نظرات فى الإسلام للدكتور محمد عبد الله دراز ص ١٦٤)

إن الإسلام يجعل للإنسان طبيعة مكرمة مستمدة من كونه "خليفة فى الأرض، وهذا التكريم مطلق ، لا يتقيد بجنس ، أو مكانة اجتماعية ، إنما هو تكريم للإنسان بغض النظر عن دينه أو جنسه . وإذن فهناك طبيعة خاصة يفترضها الإسلام للإنسان ، ومن هذه الطبيعة - التى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تحددت معالمها فى القران الكريم - يستمد الإنسان حقوقه ، فلا يصح أن يضطهد أو يظلم أو تسلب حريته أو يفرق بينه وبين أخيه على أساس العرق أو اللون أو الجنس (النوع) أو أي اعتبار آخر

وخلاصة القول : أن الله سبحانه وتعالى قد رفع شأن الإنسان - كل إنسان – فكرمه واستخلفه في الأرض وحمله الأمانة .

تأكيد حقوق الإنسان فى القران والسنة :

عنيت شريعة الإسلام أبلغ العناية بتأكيد مبدأ المساواة بين الناس جميعا لا فضل لأحد علي أحد بجنس أو لون ، وإنما بتقوى الله عز وجل .

وقد أبرزت آيات القران الكريم تساوى أفراد الإنسان كلهم فى أصل خلقهم :﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى** ﴾ (الحجرات /١٣)

﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام** ﴾ (النساء / ١)

وقوله تعالى : ﴿ **من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكانما قتل الناس جميعا** ﴾ (المائدة / ٣٢)

والمعانى المستفادة من هذه الآية الكريمة أن الخالق واحد، والنفس الإنسانية واحدة ، ومن هذه النفس خلق الله زوجها ، ومن هذه الأسرة الأولي جاء الناس : رجالا ونساء ثم يأمرهم الله بأن يتقوا أمرين : الله سبحانه وتعالى، والأرحام . . والأرحام هنا دلالة علي الصلة الإنسانية التى تربط الناس جميعا بعضهم ببعض ، مهما تناءت الديار ، وتعاقبت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العصور واختلفت الألسنة والألوان . . (تفسير القرطبى مجلد ص ١٦٧٣) .

وقوله تعالى : ﴿ **من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا** ﴾ (المائدة / ٣٢)

إن هذه الآية الكريمة تنطوي علي تصور بالغ الكوة فى الدلالة على بشاعة جريمة قتل الإنسان ظلما بغير حق ، إذ هي من هذا النص ليست عدوانا علي الفرد فقط ، ولا عدوانا على المجتمع كما تنص التشريعات الوضعية ، ولكنها شيء أكبر وأفدح ، إنها عند الله سبحانه وتعالي عدوان على الناس جميعا أي على الجنس البشري بأسره دون تفرقة بين لون وجنس وملة .

وجاء قوله تعالي فى سورة كاملة معبرا عن هذه المساواة : ﴿**عبس وتولى (١) أن جاءه الأعمى (٢) وما يدريك لعله يزكى (٣) أو يذكر فتنفعه الذكرى (٤) أما من استغنى (٥) فأنت له تصدى (٦) وما عليك ألا يزكى (٧) وأما من جاءك يسعى (٨) وهو يخشى (٩) فأنت عنه تلهى** ﴾ (عبس ١ - ١٠)

وتعد هذه السورة من أهم الدروس المستفادة فى المساواة بين الناس جميعا ، فقد عاتب الله - عز وجل - رسوله ﷺ عندما أعرض عن عبد الله بن أم مكتوم - وكان أعمى - منشغلا عنه بأمر إسلام بعض أشراف قريش . **(تفسير القرطبي ص ٧٢٤٧ وما بعدها)**

في ظل تلك الحقيقة الكبرى - حقيقة المساواة بين البشر يمكن أن نفهم في السنة النبوية الشريفة . . ومن ذ لك ما ورد / في سنن أبي داود عن جابر قال : كنا مع النبي ﷺ إذ مرت بنا جنازة فقام لها ، فلما ذهبنا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لنحمل إذا هي جنازة يهودي فقلنا يا رسول الله إنما هي جنازة يـهودى ، فقال : إن الموت فزع ، فإذا رأيتم جنازة فقوموا.

وجاء في سنن النسائي أيضا عن .عبد الرحمن بن أبي ليلي : كان سهل بن حنيفا وقيس بن سعد بن عبادة بالقادسية فمر عليهما بجنـــازة فقامـــا فقيل لهما إنها من أهل الأرضى ، فقالا : مـــر علـــي رســـول الله ﷺ بجنازة فقام فقيل له إنه يهودي فقال : "أليست نفسا" ؟ .

ومن ذلك كذلك قول النبي ﷺ : " لن تؤمنوا حتى تحابوا . أولا أدلكـــم علي ما تحابون عليه ؟ افشوا السلام بينكـــم . والـــذى نفســـي بيـــده لا تدخلون الجنة حتى تراحموا. فقالوا : يا رسول الله ، كلنا رحيم ، قـــال إنه ليس برحمة أحدكم خاصته ولكن رحمة العامة ، رحمة العامة "

كذلك جاء في خطبة الوداع – وهي آخر خطبة للنبي ﷺ قبل وفاته : " يا أيها الناس ، إن ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، وكلكـــم لآدم ، وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربى علي عجمـــى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر علي أبيض ، ولا لأبيض على أحمـــر فضل إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد ، ألا فليبلغ الشاهد منكـــم الغائب "

وكان في دعائه عليه الصلاة والسلام في صلاة آخر الليل يقول : "اللهم إنى أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت ، وأن العباد كلهم إخوة "

إذا كان الإسلام قد أبرز التساوى فى هذا ، فمن الطبيعي أن يترتب على هذا أن يكون الناس كلهم سواسية فيما يكلفون به من واجبـــات ، ومـــا منحهم الله من حقوق ٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المساواة فى الواجبات :

من ناحية التساوي في الواجبات نري أن الله سبحانه وتعالى قد أكرم الإنسان بواجبات بينتها الشريعة الإسلامية . وليس من حق أية قوة أن تعفي بعض أفراد الإنسان من أداء واجب قد فرضه الله عز وجل عليه . لا يعفيه من ذلك أهله أو جنسه أو لونه . ولذلك نرى أى الرسول ﷺ يقول محذرا أهله وعشيرته من أن يتهاونوا في أداء ما كلفوا به : "يا معشر قريش ، لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا،. يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا " فالكل سواء أمام ما شرعه الله من واجبات يطالب بها كل فرد صالح لأدائها سواء أكانت هذه الواجبات حقوقا خالصة لله تبارك وتعالي كالإيمان والعبادات أو كان للعبد فيها شيء . فالتكاليف الشرعية كالصلاة والصيام والزكاة والحج والإحسان إلي الوالدين وصلة الرحم وحسن الجوار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في معاملة الناس وغيرها مما هو واجب علي كل بالغ عاقل قادر لا يسقط عن أحد مهما كانت مكانته . ولو كان يجوز استثناء أحد منها لكان أحق الناس بذلك أشرف الرسل صلوات الله وسلامه عليه . ولكنه وهو الرسول الله ﷺ للشريعة المبشر بها لم تسقط عنه التكاليف أبدا. وقد تضافرت النصوص علي صدق هذه القضية في القران الكريم وسنة الرسول ﷺ كقول الحق تبارك وتعالي ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا** ﴾ (سورة سبأ /٢٨)

وقوله سبحانه :﴿ **قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا** ﴾ (الأعراف آية /١٥٨)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فضلا عن أنه من الأمور الثابتة أن الأحكام التي أتت بها الشريعة الإسلامية إنما جاءت لصالح الناس عامة فى دنياهم وآخرتهم ، ويؤيد هذا نصوص متعددة كقوله تعالي : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ وكقوله سبحانه ﴿ **ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليظهركم وليتم نعمته عليكم** ﴾ (المائدة آية ٦)

وإذا كانت الأحكام التي كلفنا بها الله عز وجل إنما جاءت لتحقيق مصالحنا فنحن مرآة هذه الأحكام . ، تنطبع فينا هذه المصالح على السواء، لأننا جميعا مساوون فى الطبيعة الإنسانية . فلو كانت الأحكام قد وضعت لجماعة خاصة دون غيرها لما كانت موضوعة لمصالح الناس عامة .

المنهاج الإسلامى فى معاملة غير المسلمين :

وقف الإسلام موقفا متسامحا تجاه الأديان الأخرى ، كما تقررت من خلاله القواعد التي علي أساسها يعامل غير المسلمين فى دار الإسلام وما يجب علي المسلمين اتباعه من تعاليم وما عليهم من واجبات من خلال القرآن الكريم الذي نظم تلك العلاقات . فشملت كثير من النصوص القرآنية روح التسامح والعفو. قال تعالي : ﴿ **فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين** ﴾ (سورة المائدة ١٣)

وكذلك في سورة الشورى قال سبحانه ﴿ **فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين** ﴾ (الشورى / ٤٠)

كما يتضح موقف الإسلام منذ البداية في الدعوة للإسلام . . فقد حدد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبدقة عدم إجبار الناس علي الدخول في الإسلام . فالإنسان بعقله الذى وهبه الله إياه عليه أن ينظر أي طريق يسلكه من طريقي الهدي والضلال . وعلي المسلمين أن يبلغوا رسالة الإسلام إلي من عداهم ، فإما أن يهتدوا ويختاروا طريق الخير وهو طريق الإسلام وإما أن يختاروا الطريق الآخر ، لا إكراه عليهم في ذلك . ونصوص القرآن صريحة في عدم إجبارهم علي الدخول فيما لا يؤمنون به . . يقول الله تعالي :﴿ **لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي** ﴾ (سورة البقرة / ٢٥٦)

وبقول سبحانه : ﴿ **ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** ﴾ (سورة يونس /٩٩) وقال تعالي :﴿ **فذكر إنما أنت مذكر (٢١) لست عليهم بمسيطر** ﴾ (الغاشية / ٢١ ، ٢٢)

ويقول تبارك وتعالى : ﴿ **قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** ﴾(سورة آل عمران ٦٤)

سار الرسول عليه الصلاة والسلام علي هذا المنهج ، فقد منع رجلا حاول أن يرغم ولديه علي الإسلام . فقد ذكر المفسرون في سبب نزول الآية الكريمة " لا إكراه فى الدين " أن رجلا من الأنصار كان له ابنان نصرانيان قد تنصرا على أيدي تجار قدموا من الشام يحملون زبيبا ، أما هو فكان رجلا مسلما فلما عزم الابنان علي أن يذهبا مع هؤلاء التجار أراد أبوهما أن يسخرهما علي ترك النصرانية والدخول في الإسلام فنزلت الآية الكريمة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما كانت إحدى نساء بني قريظة وتدعي ريحانة من نصب الرسول ﷺ بعد محاربة قومها. فعرض عليها الرسول عليه الصلاة والسلام أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب ، فقالت : يا رسول الله بل تتركنى فى ملكك ، وأظل علي دينى (اليهودية) فقربها الرسول عليه الصلاة والسلام حتى أسلمت بعد ذلك عن اختيار ودون إكراه . كما كتب إلى معاذ بن جبل وهو باليمن : " أن لا تفتن يهوديا من يهوديته " . أي لا تكرهه أو تحرضه علي ترك دينه (سيره ابن هشام جـ ٣ ص ٢٥٦)

كما دعا الإسلام إلي اتباع أسلوب اللين والرفق والحوار الهاديء والمجادلة بالحسنى من خلال استخدام العقل والمنطق لإقناع أهل الكتاب بالدخول في الإسلام . قال تعالى : ﴿ **ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون**﴾ (العنكبوت /٤٦)

التزام المسلمين بآية لا إكراه فى الدين :

الشواهد التى تؤكد حرص المسلمين الأوائل علي الالتزام بآية " لا إكراه في الدين " كثيرة نذكر منها :

(١) جاءت امرأة نصرانية عجوز إلي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في حاجة إليها فقال لها : أسلمي تسلمي ، إن الله بعث محمدا بالحق . فقالت : أنا عجوز كبيرة والموت إلي أقرب ، فقضي لها حاجتها ، ولكنه خشي أن يكون في مسلكه هذا ما ينطوي علي استغلال حاجتها لمحاولة إكراهها علي الإسلام فاستغفر الله مما فعل وقال : " اللهم إني

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أرشدت ولم أكره " (تفسير القرطبي مى ١٢٠٣).

(٢) ثار الجدل بين فقهاء المسلمين حول حق الزوج المسلم في مناقشة زوجته الكتابية في مسألة إسلامها . وقد رأي الإمام الشافعي أنه لا يحق للرجل أن يفاتح زوجته في هذا الأمر ، ولا يعرض عليها الإسلام "لأن فيه تعرضا لهم ، وقد ضمنا بعقد الذمة ألا نتعرض لهم . أما الأحناف فيرون أن للزوج أن يعرض الإسلام علي الزوجة من غير إكراه .

ويرى الفقهاء أنه لا يجوز للزوج أن يمنع زوجته الكتابية من أداء عباداتها وشعائرها. بل إن بعض المذاهب ترى أنه ينبغي له أن يصحبها إلي حيث تؤدي هذه العبادات فى كنيستها أو بيعتها إذا رغبت في ذلك .

(٣) من يقرأ تاريخ الأربعة العشر قرنا الماضية يخرج بحقيقة هامة وهي أنه ما حكم المسلمون بلدا إلا وأبقوا علي ما فيه من أديان وملل . ذلك لاعتزاز الإسلام بالإنسان كمخلوق مهما كان اعتقاده ولونه وجنسه بالإضافة إلي اعتقاد المسلمين بشرعية أصحاب الديانات الأخرى الذين اعتبرهم القرآن الكريم "أهل كتاب " لهم مكانتهم فى المجتمع الإسلامى ، فهذا الوصف تكريم لهم لأنه يميزهم عن المشركين والوثنيين الذين لا كتاب لهم .

(٤) اباح الإسلام الحرب للدفاع عن أماكن العبادة لغير المسلمين فقال تعالى : ﴿ **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله** ﴾ (الحج / ٤٠)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من ملامح علاقة المسلمين بأهل الكتاب :

بعد أن قرر الإسلام حرية العقيدة للبشر وأنه لا يجوز إكراه أحد على الدخول فى الإسلام أوجب لغير المسلمين حقوقا لدى المسلمين تنظم علاقتهم وتحدد التعايش معهم فى سلام وأمان . من هذه الحقوق انه لا يجوز الاعتداء علي أنفسهم . يقول الرسول ﷺ : "من قتل نفس معاهد لم يرح رائحة الجنة ، وان ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاما"

(رواه البخارى)

ومنها أنه لا يجوز الاعتداء علي أموالهم ، أو أعراضهم . ومن أموالهم التي لا يجوز الاعتداء عليها ما يكون في حوزتهم من خمر أو خنزير رغم أن الخمر محرمة على المسلمين ومحرم عليهم أكل الخنزير فإذا حدث الاعتداء عليها من مسلم بإتلافها فعليه الضمان . .

ومنها : وجوب الدفاع عنهم ضد كل من يعتدي عليهم سواء أكان هذا المعتدي من مواطنى دولة أخرى تحارب المسلمين (الحربيين) أم كان من أهل الذمة ، أم كان من المسلمين .

ومنها أنه يجوز للمسلم أن يتزوج الكتابية ، أي التي لقومها في دينهم كتاب سماوي وهم اليهود والنصارى ، لكن لا يجوز للكتابى أن يتزوج المسلمة .

ومنها أيضا جواز الأكل من ذبائحهم لقوله تعالي : ﴿ **اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من**

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخاسرين ﴾ (المائدة: آية ٥)

ومنها : جواز زيارتهم وعيادتهم إذا مرضوا . وقد روي أن النبي ﷺ أتى غلاما من اليهود وكان مريضا يعوده ، فقعد عند رأسه فقال له الرسول ﷺ " أسلم " فنظر الغلام إلى أبيه ، فقال له أبوه : أطع أبا القاسم ، فأسلم الغلام ، فقام النبي ﷺ فقال : الحمد لله الذى أنقذه من النار .

ومنها : أنه تسري علي أهل الكتاب في المجتمع المسلم أحكام الشريعة الإسلامية في ضمان الأنفس والأموال والأعراض ، وأن تقام عليهم الحدود فيما يعتقدون تحريمه عليهم دون ما يعتقدون حله . ومما يعتقدون تحريمه الزنا والسرقة والقتل والقذف ، وأما الأفعال التي يعتقدون أنها حلال لهم كشرب الخمر وأكل لحوم الخنازير فيقرون عليها ولا عقوبة عليهم في ذلك لاعتقادهم أن هذه الأفعال حلال لهم . غير أنه يجب علي الحاكم الإسلامي أن يمنعهم من إظهار هذه الأمور بين المسلمين ، لأن المسلمين يتأذون بذلك .

هذه الحقوقي وغيرها كثير تنطلق من قاعدة عقدية وإيمانية أركانها ما يلى :

١ - المساواة في الإنسانية وهو المبدأ الذي أشرنا إليه تفصيلا من قبل .

٢ - رحابة مظلة الإسلام وعالميته التي تقتضي بالضرورة أن يكون ثمة مكان فيه للمسلمين وغير المسلمين .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣- اعترافا الإسلام بما سبقه من أديان منزلة وبمن أرسل قبل النبي محمد ﷺ من أنبياء ورسل . وهو اعترافا يجعل إيمان المسلم لا يكتمل إلا بإيمانه بالكتب والرسل السابقين إذ يقول الله سبحانه وتعالي في الآية قبل الأخيرة من سورة البقرة : ﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**﴾ (البقرة آية٢٨٥)

من هذه الأركان جاءت القاعدة الذهبية فى التعامل مع أهل الكتاب في المجتمع الإسلامى وهى : لهم ما لنا وعليهم ما علينا . أي لهم نفس الحقوق التى يتمتع بها المسلمون وعليهم نفس الواجبات التى يلتزم بها المسلمون .

عهود الأمان :

يظهر تسامح الإسلام في مواقفه الكريمة مع غير المسلمين في عهود الأمان التى أعطيت لهم فكانوا يقيمون في بلادهم بناء علي هذه العهود تحت مظلة الإسلام دون إكراه بدنى أو مادى أو أدبى علي أن يتخلوا عن دينهم أو أن يقوموا من الأعمال بما لا يرضون القيام به .

وكان الأمان يشكل القاعدة الإسلامية الأساسية بعد دخول المسلمين البلاد المفتوحة .

وبمقتضى هذا الأمان أتيح لغير المسلمين بعض الحقوق والحريات .

وكان عهد الأمان الذى عقده الرسول ﷺ لأهل نجران هو المثال الذى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عقدت علي منواله عهود الأمان اللاحقة فقد نص على أن (... لنجران وحاشيتهم جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله علي أموالهم وأنفسهم وأرضهم وملتهم غائبهم وشاهدهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير . ولا يغير أسقف ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته . وليس عليه دية ولا دم جاهلية . ولا يحشرون ولا يعسرون . ولا يطأ أرضهم جيش . ومن سأل منهم حقا فبينهم للنصف غير ظالمين ولا مظلومين . ومن أكل ربا من ذي قبل فذمتي منه بريئة . ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر) . والأصل في الأمان قول النبي ﷺ :" المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم " وقوله تعالي :﴿ **وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنة** ﴾ (التوبة آية / ٦)

هذه هي الأصول التي وضعها الرسول عليه الصلاة والسلام والمستمدة من القرآن الكريم فى الدعوة للإسلام وعقد عهود الأمان مع غير المسلمين والتى ظلت المنهاج القويم التى سار عليه الخلفاء الراشدون والقادة الفاتحون الذين تحملوا عبء نشر الدعوة الإسلامية شرقا وغربا والتي يؤدى الالتزام بها من جانب المسلمين إلى إشاعة روح التسامح والتعاون والتفاهم بين البشر من أجل خير الإنسانية كلها .

دور المرأة فى ثقافة التعايش السلمى :

والسؤال الذي يفرض نفسه . . ما دور المرأة فيما سبق . . أين فعاليتها ومشاركتها وامتثالها لجوانب وملامح التعايش السلمى بين المسلمين

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وغيرهم فى المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية . .

الجواب أنه تأكيدا لمبدأ المساواة في الإسلام بين البشر جميعا . . لا فضل لأحد على أحد بجنس أو لون وإنما بتقوى الله سبحانه وتعالى استنادا إلى قوله لعالى : ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ (الحجرات / ١٣) .

اتفق جمهور العلماء والمفسرين علي أمر مهم بالنسبة لدلالة النص القرآنى ، وهو أن كل ما جاء في القران الكريم من خطاب موجه إلى المؤمنين والمسلمين في مختلف الشئون بصيغة المفرد المذكر والجمع المذكر مما يتصل بالتكاليف والحقوق والأعمال العامة يعتبر شاملا للمرأة دون أي تفريق أو تمييز إذا لم يكن ثمة قرينة تخصيصية .

ومن ذلك التكاليف التعبدية والمالية والبدنية والحقوق والمباحات والمحظورات والآداب والأخلاق الفردية والاجتماعية وما يترتب على ذلك من نتائج إيجابية وسلبية في الدنيا والآخرة .

والآيات القرآنية التي يتمثل فيها ذلك كثيرة جدا . . ويكفينا ذكر ما جاء منها في سورة واحدة وهي سورة البقرة :

١ - قوله تعالى :﴿ **كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون** (١٥١) **فاذكروني أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون** (١٥٢) **يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين** ﴾ (البقرة / الآيات ١٥١ - ١٥٣)

وقوله جل شأنه : ﴿ **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى**

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحكام ﴾ . .(البقرة / ١٨٨)

وفى مساواة المرأة بالرجل فى الحدود قوله تعالى فى سورة المائدة :

﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم في (٣٨) فمن تاب بن بغد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم ﴾ (المائدة /٣٨)

وفي المساواة بين الرجل والمرأة فى الآداب والأخلاق . . قوله تعالى **﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون (٣٠) وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ﴾** . . (النور/ آية ٣٠- ٣١) .

كما ورد اتفاق جمهور المحدثين علي أن الأحاديث النبوية الموجهة إلى المسلمين والمؤمنين بصيغة المفرد المذكر تشمل الرجل والمرأة على السواء إذا لم يكن فيها قرينة مخصصة . وهناك آلاف الأحاديث التى ينطبق عليها ذلك في الإيمان والعلم والتقوى والآداب والأخلاق منها : ما رواه البخاري ومسلم عن النبي ﷺ " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده "

وما روى عن البخارى ومسلم عن أنس عن النبى ﷺ : " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " .

كما أن الإسلام قد قرر أهلية المرأة للتدين وتلقى التكاليف الشرعية حيث جعل الرسول ﷺ للنساء بيعة خاصة بهن فى الإسلام دون بيعة الرجال لتدخل كل منهن الإسلام من باب غير باب زوجها أو أبيها وهى قوله تعالى : **﴿ يا أيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا**

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم ﴾ (الممتحنة آية ١٢)

هذه الآية عظيمة الدلالة بالغة المدى . فقد أمرت النبي ﷺ بناء على طلب المؤمنات بأخذ البيعة منهن أسوة بالرجال واستقلالا دون تبعية أن يجيب طلبهن ويأخذ البيعة منهن . وفي هذا إقرار لشخصية المرأة وكيانها المستقل دون تبعية للرجل وأسوة بالرجال وإقرار لأهليتها لذلك.

كما جعل الإسلام للمرأة حق المشاركة فى الحياة الاجتماعية العامة فيقول الله تعالي فى سورة التوبة : ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾** (التوبة / ٧١) .

وهذا النص يتطلب التأمل فى بديع إحاطته بكافة شئون الحياة وأوضاعها فقوله تعالى :﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾** فيه أن الإيمان هو الوصف الذاتى الذى تتحدد به شخصية كل فرد – رجلا كان أم امرأة – وأن الولاء الذي بين المؤمنين والمؤمنات هو الولاء لقيم ذلك الإيمان . . وقوله تعالي : ﴿ **يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾** واضح فى الدلالة على أن الإسلام يضع صلاح المجتمع أمانة بين لدى كل مؤمن مستنير وكل مؤمنة مستنيرة ،ويجعل كلا منها مسئولا عن ذلك .. لا يعفى المرأة ولا يستثنى الرجل ، لأنه ينظر إلى وصفا الإنسانية لا إلى الذكورة أو الأنوثة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهو إقرار لحق المرأة أسوة بالرجل في كيان الدولة والمجتمع وتوطيد مركزها فيه .

ولذلك اعترف الإسلام للمرأة بأن لها حق إعطاء الأمان للشخص الذى يدخل ديار الإسلام علي نية الإقامة فيها . والأصل فيه قول النبي ﷺ : " المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم " .

ولما كان الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقا وآدابا ، ولما كانت المرأة كما أوضحت فيما سبق لها نفس الحقوق التي للرجل وعليها ذات الواجبات التي عليه فإن المرأة تتحمل نصيبها المفروض في إشاعة روح التعايش السلمي التي لها قواعد راسخة فى الإسلام تقوم على أساس من النصوص القطعية فى القرآن الكريم والتطبيق العملى من الرسول الكريم ﷺ ومن خلفائه الراشدين ومن قادة المسلمين في أوج ازدهار الدولة الإسلامية . وفي العصر الحاضر الذى تتجه فيه المجتمعات إلى إعلاء شأن الحوار ونبذ الصدام وكراهية الحروب للمرأة دور حيوى في تثبيت المبادئ التي جاء بها الإسلام فى التعامل مع غير المسلمين سواء داخل المجتمع الإسلامي أو في أي مجتمع أخر .

والله ولى التوفيق وهو سبحانه الهادى إلى سواء السبيل

القاهرة – نوفمبر ١٩٩٩

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المراجع :

١ - القرآن الكريم .

٢ - أحكام عبادات المرأة فى الشريعة الإسلامية ، للدكتورة سعاد إبراهيم صالح .

٣ - أحكام القران ، للقرطبى .

٤ - سنن أبى داود ، لأبى داود الطيالسى .

٥ - المستأمن ، ماله وما عليه ، بحث للدكتورة سعاد إبراهيم صالح .

٦- معاملة غير المسلمين فى الدول الإسلامية ، للدكتورة نريمان عبد الكريم أحمد .

٧ - معاملة غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى ، للدكتور إبوار غالى الذهبى .

٨- نظرات فى الإسلام ، للدكتور محمد عبد الله دراز

٩- سيرة النبى ، لابن هشام .

١٠ - صحيح البخارى ، للإمام محمد بن إسماعيل البخارى .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner